أَمَّا بَعدُ ، فَأُوصِيكُم أَيُّهَا النَّاسُ وَنَفسِي بِتَقوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : " وَاتَّقُوا يَومًا تُرجَعُونَ فِيهِ إِلى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ مَا كَسَبَت وَهُم لا يُظلَمُونَ "

أَيُّهَا المُسلِمُونَ ، الدِّينُ وَالنَّفسُ وَالعَقلُ وَالمَالُ وَالعِرضُ ، خَمسَةٌ لا يُمكِنُ أَن تَستَقِيمَ حَيَاةُ إِنسَانٍ في أَيِّ دَولَةٍ أَو مُجتَمَعٍ ، وَلا أَن يَستَقِرَّ لَهُ عَيشٌ أَو يَهدَأَ لَهُ بَالٌ أَو يَستَرِيحَ

قَلبُهُ ، إِلاَّ وَهَذِهِ الخَمسَةُ مَحفُوظَةٌ لَهُ مَصُونَةٌ ، مُحَاطَةٌ بِسِيَاجٍ مَتِينٍ ، يَكُونُ بِهِ مُطمَئِنًّا غَيرَ مُرَوَّعٍ وَلا مَسلُوبَ الحُقُوقِ . وَإِنَّ مَا نَرَاهُ اليَومَ فِي العَالَمِ مِن قِلَّةِ بَرَكَةٍ فِي الأَرزَاقِ ،

وَضِيقِ عَيشٍ وَارتِفَاعِ أَسعَارٍ وَغَلاءٍ ، وَجَرَائِمَ وَمُشكِلاتٍ وَأَمرَاضٍ وَوَبَاءٍ ، وَأَضرَارٍ فَادِحَةٍ تُصِيبُ الأَفرَادَ وَالمُجتَمَعَاتِ ، وَسَلبٍ لِحُقُوقِ الإِنسَانِ وَإِسَاءَةٍ إِلَيهِ فِي حَاضِرِهِ

وَتَضييعٍ لِمُستَقبَلِهِ ، إِنَّمَا هِيَ نَتَائِجُ لِتَضييعِ تِلكَ المَقَاصِدِ الخَمسَةِ العَظِيمَةِ ، الَّتي جَاءَ الإِسلامُ بِحِفظِهَا وَرِعَايَتِهَا ، وَجَعَلَ عُقُوبَاتٍ دُنيَوِيَّةً غَلِيظَةً وَوَعِيدًا أُخرَوِيًّا شَدِيدًا ، تَردَعُ

مَن يُرِيدُ الاعتِدَاءَ عَلَيهَا وَتَمنَعُهُ ، وَيَعتَبِرُ بِهِ غَيرُهُ وَيَتَرَاجَعُ عَنِ المَيلِ وَالانحِرَافِ . وَإِذَا كَانَ المَالُ مِن أَكثَرِ تِلكَ الضَّرُّورَاتِ تَعَرُّضًا لِلاعتَدَاءِ عَلَيهِ وَأَخذِهِ مِن غَيرِ وَجهِ حَقٍّ ،

فَإِنَّ الاعتِدَاءَ عَلَى المَالِ العَامِّ الَّذِي تَملِكُهُ الدَّولَةُ وَمُؤَسَّسَاتُهَا ، نُقُودًا كَانَ أَو مَبَانِيَ أَو أَرَاضِيَ أَو عَقَارَاتٍ ، أَو أَجهِزَةً أَو وَسَائِلَ أَو آلاتٍ ، أَو مَرَافِقَ أَو غَيرَهَا مِمَّا أُعِدَّ لِلنَّفعِ

العَامِّ مِن خِدمَاتٍ ، إِنَّهُ لَمِن أَشَدِّ الجَرَائِمِ خَطَرًا وَضَرَرًا ، وَأَسوَئِهَا عَاقِبَةً وَأَثَرًا ، إِذْ هُوَ اعتِدَاءٌ عَلَى آلافٍ مِنَ البَشَرِ ، وَحَيلُولَةٌ بَينَهُم وَبَينَ الانتِفَاعِ بِمَا لَهُم فِيهِ حَقٌّ كَغَيرِهِم

، وَحِرمَانٌ لَهُم مِن حُقُوقِهِم وَتَضيِيقٌ عَلَيهِم
في أَرزَاقِهِم ، وَهَذَا الانتِهَاكُ لِحُرمَةِ المَالِ العَامِّ
، وَإِنْ كَانَت تَتَجَدَّدُ صُوَرُهُ في كُلِّ زَمَانٍ
وَمَكَانٍ ، وَيَبتَدِعُ الشَّيطَانُ مِنهُ لِلنَّاسِ طَرَائِقَ

مُختَلِفَةً وَحِيَلاً مُتَنَوِّعَةً ، فَهُوَ في الغَالِبِ لا
يَخرُجُ عَن أَن يَكُونَ غُلُولاً أَو رِشوَةً ، أَو
إِسرَافًا وَإِهمَالاً وَتَبذِيرًا ، أَوِ اختِلاسًا أَو
تَدلِيسًا ، يَتَلَبَّسُ مَن ظَلَمَ نَفسَهُ بِبَعضِهَا أَو

يَجمَعُهَا كُلَّهَا ، في صُوَرٍ مُحَرَّمَةٍ تُسَمَّى بِغَيرِ أَسمَائِهَا ، يُجعَلُ نَهبُ المَالِ فِيهَا عَلَى سَبِيلِ المِنَحِ أَوِ المَعُونَاتِ أَوِ العُمُولاتِ ، أَو تَولِيَةِ المَنَاصِبِ أَو تَوزِيعِ الحَوَافِزِ وَالمُكَافَآتِ ،

اتِّبَاعًا لِلهَوَى وَالرَّغَبَاتِ الخَاصَّةِ ، وَسَيرًا
عَلَى مَا لا يُرضِي اللهَ وَلا يُحَقِّقُ المَصَالِحَ
العَامَّةَ ، قَالَ تَعَالى : " وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ
وَمَن يَغلُلْ يَأتِ بِمَا غَلَّ يَومَ القِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى

كُلُّ نَفسٍ مَا كَسَبَت وَهُم لا يُظلَمُونَ " وَقَالَ تَعَالى : " وَلا تَأكُلُوا أَموَالَكُم بَينَكُم بِالبَاطِلِ وَتُدلُوا بِهَا إِلى الحُكَّامِ لِتَأكُلُوا فَرِيقًا مِن أَموَالِ النَّاسِ بِالإِثمِ وَأَنتُم تَعلَمُونَ " وَقَالَ تَعَالى : "

إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا " وَفي الحَدِيثِ المُتَّفَقِ عَلَيهِ عَن أَبي حُمَيدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : اِستَعمَلَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ

رَجُلاً مِنَ الأَزدِ يُقَالُ لَهُ ابنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : هَذَا لَكُم وَهَذَا أُهدِيَ لِي ، فَخَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثنى عَلَيهِ وَقَالَ : " أَمَّا

بَعدُ ، فَإِنِّي أَستَعمِلُ رِجَالاً مِنكُم عَلَى أُمُورٍ
مِمَّا وَلاَّنِي اللهُ ، فَيَأتِي أَحَدُكُم فَيَقُولُ : هَذَا
لَكُم وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهدِيَت لِي ، فَهَلاَّ جَلَسَ
فِي بَيتِ أَبِيهِ أَو بَيتِ أُمِّهِ فَيَنظُرَ أَيُهدَى لَهُ

أَم لا ؟! وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ ، لا يَأخُذُ أَحَدٌ
مِنهُ شَيئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ يَحمِلُهُ عَلَى
رَقَبَتِهِ ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَو بَقَرًا لَهُ
خُوَارٌ ، أَو شَاةً تَيعَرُ " ثمَّ رفع يَدَيهِ حَتَّى رَأينَا

عَفرَتَيَ إِبطَيهِ ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ هَل بَلَّغتُ ؟! اللَّهُمَّ هَل بَلَّغتُ ؟! " وَعَن عَبدِاللهِ بنِ عَمرٍو قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَ وَالمُرتَشِيَ . رَوَاهُ أَبُودَاوُدَ وَابنُ مَاجَه

وَصَحَّحَهُ الأَلبَانيُّ . وَعَن أَبي بَكرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : " أَلا أُنَبِّئُكُم بِأَكبَرِ الكَبَائِرِ – ثَلاثًا – ؟! قُلنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : "

الإِشرَاكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الوَالِدَينِ " وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ : " أَلا وَقَولُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلنَا لَيتَهُ سَكَتَ . رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ .

وَالمَقصُودُ أَيُّهَا المُسلِمُونَ ، إِنَّ الاعتِدَاءَ عَلَى المَالِ العَامِّ ، مَسَالِكُ مُلتَوِيَةٌ وَسُبُلٌ خَبِيثَةٌ ، تُؤتَى بِطُرُقٍ شَيطَانِيَّةٍ وَتَكتَنِفُهَا حِيَلٌ خَفِيَّةٌ ، وَغَالِبًا مَا يَجمَعُ الوَالِغُ فِيهَا كَبَائِرَ

وَعَظَائِمَ وَجَرَائِمَ ، مَكرٌ وَتَضلِيلٌ ، وَغِشٌّ وَتَدلِيسٌ ، وَتَزيِيفٌ وَتَزوِيرٌ ، وَشَهَادَاتٌ كَاذِبَةٌ وَأَيمَانٌ فَاجِرَةٌ ، وَاختِلاقُ عُقُودٍ مُلَفَّقَةٍ ، وَإِدلاءٌ بِمَعلُومَاتٍ وَبَيَانَاتٍ تُخَالِفُ الحَقِيقَةَ

، وَالتِوَاءٌ عَلَى الأَنظِمَةِ وَتَهَرُّبٌ مِن تَنفِيذِهَا
، وَاستِغلالٌ لِلسُّلطَةِ أَو النُّفُوذِ لِتَحقِيقِ
مَصَالِحَ فَردِيَّةٍ ، وَتَجَاهُلٌ لِحُقُوقِ الأُمَّةِ
وَالمُجتَمَعِ ، أَلا فَلْنَتَّقِ اللهَ جَمِيعًا ، وَلْنَعلَمْ أَنَّهُ

تَعَالى رَقِيبٌ عَلَينَا نَاظِرٌ إِلَينَا ، يَعلَمُ خَائِنَةَ الأَعيُنِ وَمَا تُخفِي الصُّدُورُ " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُم وَأَنتُم تَعلَمُونَ . وَاعلَمُوا أَنَّمَا أَموَالُكُم

وَأَولادُكُم فِتنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِندَهُ أَجرٌ عَظِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجعَلْ لَكُم فُرقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَيَغفِرْ لَكُم وَاللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ "

أَمَّا بَعدُ ، فَاتَّقُوا اللهَ تَعَالى وَأَطِيعُوهُ وَلا تَعصُوهُ ، وَاشكُرُوهُ وَلا تَكفُرُوهُ ، وَاعلَمُوا أَنَّ الخَطَأَ في مَعرِفَةِ مَا يَرفَعُ قِيمَةَ الإِنسَانِ أَو

يَخفِضُهَا ، هُوَ الَّذِي جَعَلَ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ المَالَ مِيزَانًا يَزِنُونَ بِهِ أَنفُسَهُم ، وَمِقيَاسًا يَقِيسُونَ بِهِ مَن حَولَهُم ، فَمَن زَادَ مَالُهُ رَفَعُوهُ ، وَمَن قَلَّ مَا عِندَهُ خَفَضُوهُ ، وَهَذَا وَاللهِ

مِنَ الجَهلِ الذَّرِيعِ وَالظُّلمِ الشَّنِيعِ ، وَالغَفلَةِ أَوِ التَّغَافُلِ عَنِ المِقيَاسِ الحَقِيقِيِّ وَالمِيزَانِ الدَّقِيقِ لِقِيَاسِ أَقدَارِ النَّاسِ وَوَزنِ شَخصِيَّاتِهِم ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : "

لَيسَ الغِنَى عَن كَثرَةِ العَرَضِ ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفس " مُتَّفَقٌ عَلَيهِ . وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : " إِنَّ اللهَ لا يَنظُرُ إِلى صُوَرِكُم وَلا أَموَالِكُم ، وَلَكِنْ يَنظُرُ إِلى

قُلُوبِكُم وَأَعمَالِكُم " رَوَاهُ مُسلِمٌ . وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : " قَد أَفلَحَ مَن أَسلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ " رَوَاهُ مُسلِمٌ . فَمَن صَلَحَ قَلبُهُ وَعَمَلُهُ ، وَرُزِقَ بَعدَ ذَلِكَ

حَلالاً يَكفِيهِ ، وَقَنِعَ قَنَاعَةً تَكُفُّ بَصَرَهُ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلى مَا عِندَ النَّاسِ ، وَتَمنَعُ يَدَهُ عَن سُؤَالِهِم وَاستِجدَائِهِم ، فَهَذَا هُوَ الغَنِيُّ الَّذِي حَسُنَ إِسلامُهُ وَكَمُلَ إِيمَانُهُ ، أَلا فَاتَّقُوا اللهَ

، وَإِذَا أَرَدتُم عِلمًا يَقِينِيًّا بِقِيمَةِ مَا يَتَطَاحَنُ النَّاسُ مِن أَجلِهِ وَيَخُونُونَ أَمَانَاتِهِم في سَبِيلِ الاستِكثَارِ مِنهُ ، وَيَعتَدُونَ عَلَى مَا لَيسَ لَهُم طَمَعًا في تَحصِيلِهِ ، ثم أَرَدتُم مَعرِفَةَ المِضمَارِ

الحَقِيقِيّ لِلتَّسَابُقِ الَّذِي نِهَايَتُهُ الفَوزُ الكَبِيرُ ، فَتَأَمَّلُوا قَولَ رَبِّكُم تَبَارَكَ وَتَعَالى : " اِعلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَينَكُم وَتَكَاثُرٌ في الأَموَالِ وَالأَولادِ

كَمَثَلِ غَيثٍ أَعجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ . سَابِقُوا إِلى

مَغفِرَةٍ مِن رَبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرضُهَا كَعَرضِ السَّمَاءِ وَالأَرضِ أُعِدَّت لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ "